

بسم الله الرحمن الرحيم

" السِّرِّ وَأَخْفَى " المعنى والدلالة دراسة تفسيرية تحليلية

أ.م. د/ رفيق قاسم

الملخص

تطرقنا هذه الدراسة إلى موضوع في غاية الأهمية من حيث الإيمان والعقيدة، للقول أو النطق فهناك كما قال الله تعالى بأن هنالك ملكان "رقيب عتيد" يسجلان كل صغيرة وكبيرة، وهذا واضح من سياق اللفظ القرآني، ولكننا في هذه الدراسة حاولنا بالبحث والدراسة توضيح المعنى لكل من السر وأخفى من حيث اشتغالهما على معنيين "عقدي وإيماني" من خلال سرد المفهوم الكلي للكلمتين "السِّرِّ وَأَخْفَى" وما تحمله من معاني جمّة، ومن مفاهيم إيمانية، في غاية الجمال والمعنى، كونها "الدراسة" تذكر المعنى والمفهوم والهدف والغاية، تمحوره آية واحدة "السر وأخفى" تحمل أسراراً كلية لمعاني عامة وخاصة، دينية وأخلاقية واجتماعية ونفسية وتربوية ويقينية وتغرس الخوف من الجليل وتذكر مراقبة الله تعالى لكل شيء.

المفاتيح: السر، أخفى، معنى، فهم، لفظ.

ES-SIRR VE AHFA'NIN MANASI VE DELÂLETİ

Özet

Makalemizde Taha Suresi 7/20 ayette geçen "sırr ve ahfa" yani gizli ve açık kelimelerinin anlamları üzerinde durulmaktadır. Sırr ve ahfa kelimeleri çalışmamızda iman ve akide açısından ele alınmaktadır

Anahtar Kelimeler: Sırr; ahfâ; ma'na, fehm, lafz

THE MEANINGS OF "SIRR" AND "HAFA"

Summary

In our paper, the meanings of the words "secret and hafa" in the 7th verse of Surat al-Taha in Qur'an. These words in our study are discussed in terms of faith and flow.

Key words: Sırr; ahfâ; meaning, word

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الصادقين عند البدء عن الحديث عن عظمة الآية القرآنية وما تحمله من معاني عظيمة ومن مفاهيم دينية وغاية عالياً وهدف تربوي عقدي خالص، يدعوا إلى العمل والخير والطاعة بصدق ورغبة وطمأنينة وسكينة وكأن المفهوم الكلي أن تعبد الله كأنك تراه، تريتنا قليلاً حولها "الآية" ووجدنا أن الموضوع الكلي فيها، ينطوي في إطار جامع معناه أن كل صغيرة وكبيرة يعلمها الله ويعلم ما تخفي النفوس وما تضر "أخفى" وما يخفي على الله خافية في الأرض ولا في السماء.

لأننا وجدنا أن كلمة السر موجودة في القرآن الكريم مرتين، الأولى في سورة الفرقان في قوله تعالى: "قل يعلمه الذي يعلم السر في السماوات والأرض"¹ والسر هنا واضح بأن أي سر في السماوات والأرض يعلمه الله وقد ذكر نفسه وعلمه وصفته وقوته وإدراكه لهذه الصفة سبحانه وجل ملكة وقوته.

ونحاول في هذه الدراسة تبيان المعنى الكلي للسر وأخفى من خلال البحث في المفاهيم والمعاني لكلا من السر وأخفى ولكل من المعنى المراد الذي يدلنا الله تعالى عليه لنعلم حقيقة السر وحقيقة أخفى من خلال سرد الآراء السابقة واللاحقة عند الباحثين من أصحاب اللغة ومن أصحاب التفسير خصوصاً في إطار القرآن الكريم، وفي إطار المعاني لمفهوم القرآن، وقد حاولنا جاهدين السعي بعمق للإظهار ما خفي من أسرار في السر ولتوضيح ما خفي من خفايا في أخفى. ومن خلال المعنى فالله تعالى هو المطلع على الأسرار وما هو أخفى من السر الذي لا يخطر على البال فهو يعلمه هذا من جانب، لأن الأسرار كما هي مفهومة بأن هنالك سر بين العبد وربّه وبين الإنسان والإنسان وبين الإنسان وذاته يكتمه في قلبه وفي عقله يضمّر فكلها أسرار من الله تعالى وهو من يعلمها ويكشفها إذا شاء ومتى شاء ومتى أراد.

فالله تعالى جعل من هذا الآية غاية وهدف سامي ذو مجال روحي ومطلبين ديني وعقلي يفهم منهما أشياء تربوية عامة وخاصة، أنه سبحانه وتعالى يربي العقل على أن انه سبحانه يعلم نواياه وميوله وتفكيره وحيله وتدابيره، فلا يخطر على بال المؤمن بالله تعالى إلا الخير والله أراد بها "الآية" لربما الارتباط به من عباده في كل سر وفي كل جهر، وهذا ورا لا محالة.

فالمعنى الصوري في الآية أن الله تعالى يعلم كل صغيرة وكبيرة وكل ما يحاط بنا، وما لم نراه وما لم نعلمه؛ فهو يعلمه، ويعلم ما في البر وما في البحر، ويعلم من علوم الغيب ما لا تحصي ولا تدرك ولا تخطر على بال بشر، فلا تعجزه علم ما في القلوب والصدور وما تفكر العقول وما يدور في الضمائر..

ولعنا وجدنا ما نسمو إليه في دراستنا البحثية لكي نواكب العلوم والمعارف الحديثة والمعاصرة، لأن المعنى الكلي للآية من خلال التفاسير ومن خلال المعنى الحقيقي لها وجدناه مختلف وغير واضح تماماً لكي يعطي المعنى العام للآية، فربما وضوحه بشكل صوري وليس بشكل عام، فمعارفنا جميعاً ترحي لنا بأن الله تعالى هو المطلع على كل السرائر وعلى كل الضمائر وعلى كل الخفايا في الكون وفي جميع المخلوقات، وعلى كل ما يضمّر الإنسان في نفسه وقلبه ومخيلته، فذلك لا يعجزه أن يعلم ما هو أخفى من الخافية وما هو أخفى عن مسامع وعقول ومضامر القلوب فهو يعلمها سبحانه.

المبحث الأول المفهوم العام للسر وأخفى

أولاً: التفسير اللغوي

الس ومن مترادفات كلمة السر: أخفى، وستر، وأجن، وأكن، وطوى، وأبطن، وأضم، وغطى، وكنتم، وكفر، وأسر².

¹ الفرقان:6/

² مجموعة من المؤلفين، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موسوعة الأخلاق الإسلامية، موقع الدرر السنية على الأنترنت، 2/137

قال الخليل الفراهيدي في تعريفه للسِرِّ، بان السِرِّ: ما أسررت. والسريرة: عمل السِرِّ من خير أو من خير أو من شر، ويقال: سريرته خير من علانيته. وأسررت الشيء بمعنى أظهرته وأسررته، وكتمته³

وجاء معنى السِرِّ بأنه الأمانة نقلاً عن معجم البلاذري، وقد يقال أتعبه السِرِّ بمعنى ألقفه وشوش عليه أمره، ويأتي السِرِّ بخصوصية لأناس أنهم من أهل السِرِّ والخصوصية والصمت، والسِرِّ: مصدر السِرِّ في الحسب والمنبت من غير اشتقاق⁴ ويأتي الحضور بمعنى السِرِّ وهو الممسك بالخيل الضيق، ثم قال والأصل في السِرِّ هو النكاح، وعرف السِرِّ بقوله: السِرِّ: من الأسرار التي تكتم. والسِرِّ: ما أخفيت، والجمع أسرار. ورجل سريُّ يصنع الأشياء سرّاً من قوم سريين، والسريرة: كالسرِّ، والجمع السرائر. الليث: السِرُّ ما أسررت به. والسريرة: عمل السِرِّ من خير أو شر. وأسر الشيء: كتّمه وأظهره، وهو من الأضداد، سررته: كتّمته: وسررته: أعلنته، والوجهان جمعياً يفسران في قوله تعالى: وأسروا الندامة.

ويسره أقوله "ابن منظور" حول تعريف السِرِّ بأنه الزنا وهذا القول لأبو الهيثم، والسِرِّ هو الجماع استناداً إلى قول الحسن في معنى قوله تعالى: " لا تواعدوهن سرّاً" قال أن المعنى الزنا⁵ وقيل ان معنى الأصل في السِرِّ هو تغطية الشيء بغطاء، وقد يكون السِرِّ في غير المعاني مجازاً كقولك فعل هذا سرّاً وقد أسر الأمر، والنجوى لا تكون إلا كلاماً⁶.

وجاء في الغريب والمعجم معنى باح السِرِّ: بمعنى ظهر، كتّم: السِرِّ كتّمًا وكتّمناً، بالغ في كتّمه، وسر وحديث مك وسر وحديث مكتم، واستكتمته أمري، وهو كتّم وكتامة الأسرار، وكتامته العداوة: ساترته، وفلان لا يكتّم بمعنى يكتّم أمره وسره، وهو ظهرة وليس بكتّمه⁷، والفطن هو الفطن والأصمعي السريّة من السِرِّ، السِرِّ هو يكتّم وجهه أسرار، والسِرِّ هي فعلية منسوبة إلى السِرِّ وهو الإخفاء، السِرِّ ضد العلانية⁸.

وقيل السِرِّ: ما تقطعه القابلة من سرّة الصبي. يقال: تعلمت العلم من قبل أن يقطع سرّك. وجمعه: أسرة، وقيل أن السِرِّ: خلاف الجهر⁹، ويقال بأن السِرِّ هو ما كتّم والجمع أسرار وقد ساررته سراراً ومسارّة¹⁰، ويقال أن السِرِّ عند العرب هو الجماع¹¹، وقد يطلق السِرِّ على الوجه والجهة، وفي كل شيء، وجمعه أسرة¹²، والسِرِّ خلاف الإعلان ويقال: أسررت الشيء إسراً، وقال بأن السِرِّ هو النكاح، وهو خالص الشيء¹³ وقيل بأن السِرِّ هو الجمع أسرار وسرار¹⁴

التعريف اللغوي للسِرِّ من خلال كل ما سبق فقد تبين الآتي بأنه " السِرِّ " لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة¹⁵.

³ الفراهيدي، 186-190

⁴ دوزي، رينهارت بيتر دورزي، تكملة المعجم العربية، ترجمه، محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ط1، 2000، 192

⁵ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/3، 1414هـ، 358-357-304-194/4

⁶ العسكري، الحسن بن عبد الله سهل، معجم الفروق اللغوية، تحقيق/ مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط/1، 1412هـ، 533-488

⁷ الزمخشري، محمود بن عمرو أحمد، أساس البلاغة، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1998م، 217-146-122-81

⁸ الرازي، أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، 70/3

⁹ الحميري، نشوان سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الفكر، بيروت، ط/1، 1999م، 2904/5

¹⁰ المرسي، علي إسماعيل سيده، المخصص، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1996م، 253

¹¹ الأنباري، محمد القاسم محمد، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1992م، 311/2

¹² الزبيدي، محمد بن محمد عبد الرازق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب/ط، ت، 127/

¹³ بن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2، 1986م، 457

¹⁴ / <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

¹⁵ الجرجاني، علي بن محمد الزين، كتاب التعريفات، تحقيق/ جماعة من العلماء في دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1983م، 118

عرف السر لغة: بأنه ما يكتمه الإنسان في نفسه، اصطلاحاً: في القراءة، إسماع نفسه، وقيل: تصحيح الحروف أو خروج الصوت من الفم¹⁶.

ومن خلال كل ما سبق نستنتج تعريفاً شاملاً لكل ما فهمناه من السر بأنه: كل ما خفي عن العين والقول والسمع، ولم يطلع عليه أحد إلا الله تعالى وهو سر بين العبد وربّه.

المطلب الثاني: تعريف أخفى لغةً واصطلاحاً

خفى: الخفية من قولك أفيت الصوت إخفاءً، وفعله اللازم: اختفى. والخافية ضد العلانية. ولقيته خفياً بمعنى سرّاً، والخفاء من الاسم خفي، يخفى خفاءً. والخفاء، مقصور الشيء الخافي والموضع الخافي¹⁷، وعند تعريفنا لأخفى نجد أن معنى أخفى قد تأتي بمعنى كتم¹⁸ وأسرار القلب بمعنى خفاياه¹⁹.

ويقال أخفى الشيء: بمعنى ستره وكتمه، وأخفى الشيء وأخفاه وكتمه وستره وخفيه وأخفى الملابس بمعنى خباها وغيرها من التشبيهات والتعريفات المكررة حول أخفى يجمع معاجم اللغة²⁰

ونظراً كما قنا لوجود تكرار التعاريف فقد استدلينا بمختصر واحد وهو الموقع اللغوي المعاني.

التعريف الاصطلاحي لأخفى:

من خلال التعريفات السابقة التي تم ذكرها نستنتج تعريفاً لأخفى من التعريفات السابقة، بأنه سر السر هو ما تفرد به الحق عن العبد، كالعلم بتفاصيل الحقائق في إجمال الأحذية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه²¹ ثم استدل بقوله تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو"²²

ومن خلال ما سبق فإن أخفى: معناه أن تضمر في قلبك وعقلك ولا تدركه بنفسك ولا بذاتك فلا يطلع على ما أضمرت أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما تخفي إلا الله تعالى.

المطلب الثالث: سبب النزول " تفسير المعاني "

سورة طه سورة مكية ونزلت بعد سورة مريم تماماً كما ورد في أسباب النزول، فهي مبدوءة بيسم الله وباسمه صلى الله عليه وسلم، ومختومة بما بدأت قال بعض المفسرين أن معناه طأها أي الأرض لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم إلى ربه على رجلٍ واحدةٍ في تهجده²³، فهي سورة فيها أسرار وخفايا إلهية مليئة بالتخاطب للنبي في أوله، وفيها كثير من التلميح والتعريض للدعوة والإنابة والتنوع الخطابي.

المطلب الرابع: التفسير الإعرابي

عند تفسير الآية بالتفسير الإعرابي فإننا هنا نستوقف عند كل كلمة مثلاً، "الواو": استئنافية، "أن": حرف شرط جازم، "بالقول": متعلق ب"تجهر"، و"الفاء" رابطة لجواب الشرط، وفاعل "يعلم" ضمير على الله، "أخفى" معطوف على السر منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرّة على الألف، وجملة تجهر بالقول... لا محل لها استئنافية، وجملة "إنه يعلم..." لا محل لها تعليل لجواب الشرط، بمعنى إن تجهر فالله مستغن عن ذلك فإنه يعلم

¹⁶ البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط/1، 2003، 112

¹⁷ الفراهيدي، الخليل أحمد عمرو، كتاب العين، تحقيق/ مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ب/ط، ت، 4/ 313

¹⁸ دوزي، مرجع سابق، 144/2

¹⁹ / https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

²⁰ https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/أخفى

²¹ الجرجاني، مرجع سابق، 118

²² لقمان: 34/

²³ العاني، عبد القادر بن ملاً حويش، بيان المعاني "مرتب حسب النزول" مطبعة الترقى، دمشق، ط/1، 1965، 181/2

السر، وجملة "يعلم..." في محل رفع خبر إنَّ، ويمكن أن تكون الجملة جواب الشرط في محل جزم²⁴. فسرت هذه الآية في التفسير الإعرابي ووضحت أن المقصد فيها عاد على الله تعالى، فهو العالم بالخفايا والنوايا.

المبحث الثاني: المعنى الكلي للسر وأخفى عند المفسرين قديماً وحديثاً

المعنى الكلي للسر وأخفى لبعض المفسرين القدماء والحديثين نبيه من خلال الأخذ ببعض أقوالهم التي أسردوها وبينوها في هذا المجال على أسس دينية وعلمية ومنطقية وتفسيرية بحتة.

المطلب الأول: بعض آراء المفسرين قديماً للسر وأخفى

عند الحديث عن المفسرين القدماء فإننا نبين التسلسل التفسيري الذي يبين مدى الفرق بين القديم والحديث والمعاصر ومدى التقارب الفكري والديني لكلا الفريقين القديم والمعاصر أو حتى الحديث، فعلى سبيل المثال نأخذ تفسير ابن كثير لقوله تعالى: " يعلم السر وأخفى " ²⁵ فسرهما على أسس الدعوة وهي النزول للقرآن الكريم وليس على أسس إيمانية، أو عقدية، ومن ثم ربطها بآية أخرى تتحدث عن نزول القرآن الكريم، ألا وهي قال تعالى: " قل أنزله روح القدس الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً " ²⁶.

ثم بين جاء لتوضيح السر فقال عن ابن عباس أن المقصود في قوله تعالى: " السر " هو ما أسره ابن آدم في نفسه، وربطها بالسر في النفس فقط، ثم ذكر معنى قوله تعالى: " وأخفى " فقال فيها ما أخفى على ابن آدم أنه فاعله قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك ويقصد به ما فت من عمر الإنسان وما عمله وما بقي علم واحد، ثم يقول معنى جميل في التفسير فيقول فجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة، مستندلاً بقوله تعالى: " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " ²⁷

ثم بين أن الضحاك قال في تفسير الآية " السر وأخفى " أن معنى السر: ما حدث به نفسك فجعل السر هو ما تحدثت نفسك، وأما معنى أخفى فجعلها كل ما تحدثت به نفسك بعد، ثم سرد بعد ذلك قول لسعيد بن جبير.

بقوله: أنت ما تسر اليوم، ولا تعلم ما تسر غداً، والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غداً وقصد بها الوسوسة، وأما قول أخفى: أي: ما هو عاملة مما لم يحدث به نفسه²⁸

وأما مجاهد فقد ربط السر بالنفس وحصره فيها، فقال: إن السر معناه ما أسررت في نفسك فجعله في النفس، ولم يذكر القلب وهو محل الكراهية والحقد والنفاق وهومن يحمل الضغائن، وأما معنى أخفى فقال فيه معنً جميلاً وعرفه بأنه ما لم تحدث به نفسك²⁹، وهنا يتبين وجه بين العلماء والمفسرين هو صياغة السر وأخفى منه وأيضاً أن التبيان الآخر أن الله تعالى يعلم ما لم تعلمه أنت عن نفسك، بينما أننا نعلم ان الله تعالى يعلم ما سوف تفكر وكونه قدر لك حياتك وعملك وسلوكك قبل ان تخلق.

فمن خلال القول في الجلالين تبين لنا أن السر وأخفى عندهما أن السر يكون بين الإنسان ونفسه ومن ثم فلا داعي للجهر كما يقول، وأن المقصود عنده الجهر بالدعاء أو المناجاة لله تعالى، قصد بها معنى الجهر كما ورد.

وأما عند القرطبي فقد بين أن السر هو ما حدث به الإنسان غيره في خفاء وأخفى منه ما أضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره، وذكر السر هو أن تحدثت به نفسك، وأما أخفى: فقصد به أخفى من السر وهو ما تحدثت به نفسك مما

²⁴ صافي، محمود عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/4، 1418، 348/16

²⁵ طه: 7/20

²⁶ الفرقان: 13/67.

²⁷ لقمان: 28/31.

²⁸ ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، دار طبية النشر "القاهرة"- مصر، ط/ 8، 1999م، 5، 275.

²⁹ مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي، تفسير مجاهد، تحقيق/ محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط/1، 1989م،

لم يكن؛ وهو كائن بمعنى أنت تعالم ما تسر به نفسك اليوم، ولا يعلم ما تسر به غداً، ثم ختم القول فقال: الله يعلم السر وأخفى من السر، ثم ذكر قول ابن يزيد في تفسير السر وأخفى فقال: أن السر يقصد به سر الخلائق³⁰.

وقد ورد في التفسير الوسيط أن معنى وإن تجهر بالقول للرسول طاهرٌ أو لأمته، ولم يحدد القول لمن هل للرسول أم للإمة، ويقول ولما كان خطاب الناس لا يأتي إلا بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر، لأن علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر، بمعنى إذا كان يعلم السر فأحرى أن يعلم الجهر والسر مقابل للجهر كما قال يعلم سرهم وجهرهم، ثم يقول والظاهر أنه أخفى بمعنى، أفعالٌ تفضيل ولكنه ختم قوله بالمعنى الكلي لهما، أن المراد بها وأخفى من السر³¹.

وقد ورد لمعنى هذه الآية خمسة أوجه في زاد المسير وكلها أقوال مختصرة لأهل التفسير من الصحابة كما يقال المفسر ابن عباس ومن التابعين وتابعيهم وهذه الأقوال كالتالي: أحدها: أن السر: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعد وسيكون، وهذا قول لابن عباس والضحاك.

والقول الثاني: أن السر: ما حدثت به نفسك، وأما أخفى: ما لم تلفظ به، وهذا قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أن السر: هو العمل الذي يسره الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسة، وهذا القول لمجاهد.

والقول الرابع: أن معنى الآية أو الكلام في الآية: أن الله تعالى يعلم أسرار عباده وقد أخفى سره عنهم فلا يُعلم. وهذا الرأي أو القول قال به زيد بن أسلم وابنه.

والقول الخامس: أن الله تعالى يعلم ما أسره إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، وهذا القول قال به المفسر الفراء، فكل هذه الأقوال والتفسيرات للآية قيلت عند المفسرين القدماء، وأما في التفسير المسير فقال في تفسير قوله تعالى: " فإنه يعلم السر وأخفى"³² بمعنى لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السر³³، وأما عند الواحدي فيقول ما قلّه غيره من المفسرين من علوم السر وغيرها ولكنه أضاف بقوله: أن الله يعلم هذا فكيف ما جهر به؟³⁴

وأما قول الخازن في تفسيره لهذه الآية فقد بين أن المقصود في تفسيرها أن السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقى الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك، لأنك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غداً، والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غداً، وعنده أن السر ما أسره ابن آدم إلى غيره وأخفى من ذلك ما هو فاعله قبل أن يعلمه، وقيل أن السر ما أسره الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه³⁵.

وقيل ان المقصود بقوله "أخفى" جَوَّزوا فيه وجهين، أحدهما: أنه أفعال تفضل، بمعنى وأخفى من السر، والثاني: أنه فعل ماضٍ بمعنى، وأخفى الله عن عباده غيبه كقوله تعالى: " ولا يحيطون به علماً"³⁶ وهذا رأيه³⁷، فالمراد بهذا أن السر عنده أخفى من السر، ولم يفسر لنا معنى السر.

³⁰ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/2، 1964م، 11، 170.

³¹ الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط/1، 1420، 313/7 طه: 7/ 20 ابن كثير

³² الجوزي، عبد الرحمن بن عاي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، 1422هـ، 151/3، البيهقي، الحسين بن مسعود البيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق/ مجموعة من المؤلفين، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/4، 1997، 264/5

³⁴ الواحدي، علي أحمد محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط/1، 1415، 692

³⁵ الخازن، علي محمد إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1415، 3/ 201

³⁶ البقرة: 255/2

³⁷ السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ب/ت،

المطلب الثاني: بعض آراء المفسرين حديثاً للسر وأخفى

عند الحديث عن المفسرين الحديثين والمعاصرين فإننا نجمع بين القديم والحديث والمعاصر ونحاول أن نبين ما توصل إليه علماء التفسير من حيث التجديد في التفسير وفي فهم المعاني وفي خلاصة القول لمفهوم الآيات القرآنية، خاصة التي تحتاج إلى إعادة النظر في معناها كون معناها كثر وتفسيرها مختلفة حول مفهومها.

فعند تفسيرنا لقوله تعالى: " يعلم السر وأخفى"³⁸ وجدنا أن تفسير الزحيلي بين أن المعنى العام للآية بأنه تأكيد لبيان الجزاء في الدنيا والآخره لمن أعرض عن القرآن، بالعيشة الضنك في الدنيا، والعمى في الآخره عن الحجة المنقذة من العذاب³⁹ ولذا نجد أن في تفسير الجلالين وجدنا في تفسيره لقوله تعالى: " وإن تجهر بالقول" يقصد بها السر في ذكر الله أو في الدعاء، فإن الله غني عن الجهر بهما فإنه يعلم السر وأخفى، بمعنى ما تحدث به النفس وما يخطر على بباله وما لم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر⁴⁰.

وأما عند المفسر الشنقيطي فقد وجدنا أنه وضح سلطة الله المطلقة على حد قوله " وهكذا يتمثل حضور سلطته الإلهية المطلقة في كل موقع من مواقع وجود خلقه، بحيث يشرف عليه إشرافاً مباشراً من دون أن يغيب عنه أي شيء من أمورهم ويقصد بهذا القول الخلق فيما يفعلون ويتكلمون؛ ويسرد عظمة الله في علمه بالأسرار مع ذكر الأسباب فيقول فليس هنالك شيء أقرب إليه من شيء، لأن الأشياء تتساوى لديه في جميع شؤونها؛ وهذا سبب قوله عن العظمة، ثم يعلل مسألة الجهر فيقول وهذا ما يجعل مسألة الجهر بالقول أو الإسرار به واحدة في علمه، لأنه يعلم السر وأخفى ويسمع وساوس الصدور، ولا يفوته شيء من كلام عباده مهما كان خفياً في مواقع السر العميقة الهامسة⁴¹. فتفسير الشنقيطي واضح وشامل لعلم إحاطة الله بكل شيء.

فكلام التفاصيل عن السر وأخفى احتوى على معاني وكيفيات، فالمعاني تتحدث عن السر وكيف السر وما هو السر، أما أخفى فهي الكيفيات التي تكشف هذه الحالة أو تبينها على قد عال من العلم والإحاطة بمفهوم القدرة الربانية ومن دون أي تفاصيل أخرى.

ومن هذا المنطلق فإن المفسر الشعراوي فصل بشكل سلسل وواضح ومن دون أي إسهاب أو تقصير على ما يبدو في تفسيره للسر وأخفى بأنه بينها من باب الذِّكْر وخصها بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقال: إن الله تعالى حينما طلب من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُذَكَّر يريد منه أن يُذَكَّر تذكيراً مرتبطاً ببنيته، لا يقطع العتب عن نفسه فالمسألة ليست مسألة بالتذكير.

ثم يقول وإذا تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم، إنني سأحرس سرك كما أحرس علانيتك، وإن الجهر عندي مثل السر، بل وأخفى من السر وهو رسول الله مؤتمن على الرسالة، ولذلك فإن الله يقول لأمته: إياكم أن تقولوا كلاماً ظاهره فيه الرحمة ونيتمكم غير مستقرة عليه، لأن الله كما يعلم الجهر يعلم السر، وما هو أخفى من السر.

ثم يتكلم عن السر ويضرب مثل بأنه أن تهمس في أذن إنسان وتحب ألا يسمعه أحد، ثم يعرف السر بأنه ما كان داخل لم يلفظ به، فإذا خرج من فمك إلى أذن سامعك، فهناك ما هو أخفى من السر، بمعنى ما احتفظت به لنفسك ولم تتفوه به لأحد، ثم يختتم قوله عن السر وأخفى عن العارفين فيقول: فوسواس النفس وذات الصدر هي الاخفى من

³⁸ طه: 7/20

³⁹ الزحيلي، 178/16

⁴⁰ الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ب/ت، ط/1، 406.

⁴¹ الشنقيطي، محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1995 م، 7-6/4.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ مصطفى السيد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجموي، على احمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة الفروق الحديثة للطباعة والنشر "القاهرة"- مصر، ط/1-2000م.
- الجالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجالين، دار الحديث، القاهرة، ب/ت، ط/1.
- الشنقيطي، محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1995 م، 4/.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط/1 - 2000 م.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي"، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/2، 1964م،
- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، خواطر قرآنية، راجعه واخرجه/ احمد عمر هاشم، مطبعة اخبار اليوم، ب/ت، ط/15.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1995م، 4/.
- قاسم، رفيق حمود ناكي قاسم، الولاء والبراء في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة اتاتورك- كلية الالهيات، ارز روم-تركيا، 2006.
- مجموعة من المؤلفين، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موسوعة الأخلاق الإسلامية، موقع الدرر السنية على الأنترنت، 2/
- دوزي، رينهارت بيتر دورزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمه، محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ط/1، 2000،
- ¹ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/3، 1414هـ، 4/
- ¹ العسكري، الحسن بن عبد الله سهل، معجم الفروق اللغوية، تحقيق/ مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط/1، 1412هـ،
- ¹ الزمخشري، محمود بن عمرو أحمد، أساس البلاغة، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، ط/1، 1998م،
- الرازي، أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، 3/
- العاني، عبد القادر بن ملا حويش، بيان المعاني "مرتب حسب النزول" مطبعة الترقى، دمشق، ط/1، 1965، 2/
- صافي، محمود عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/4، 1418، 16/
- الحميري، نشوان سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الفكر، بيروت، ط/1، 1999م، 5/
- المرسي، على إسماعيل سيده، المخصص، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1996م،
- الواحدي، علي أحمد محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط/1، 1415،
- البقاعي، إبراهيم عمر حسين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب/ط، 12،
- الأنباري، محمد القاسم محمد، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة،

- بيروت، ط/1، 1992م، 2/
- الزبيدي، محمد بن محمد عبد الرازق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب/ط، ت، 12 /
- بن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2، 1986م،
- الجرجاني، علي بن محمد الزين، كتاب التعريفات، تحقيق/ جماعة من العلماء في دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1983م،
- الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط/1، 1420، 7/
- الجوزي، عبد الرحمن بن عاي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، 1422هـ، 151/3، البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق/ مجموعة من المؤلفين، دار طيبة للنشر التوزيع، ط/4، 1997، 5/
- لواحدي، علي أحمد محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط/1، 1415،
- مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي، تفسير مجاهد، تحقيق/ محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط/1، 1989م،
- الخازن، علي محمد إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1415، 3/
- السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ب/ت، 14/8
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط/1، 2003،
- الفراهيدي، الخليل أحمد عمرو، كتاب العين، تحقيق/ مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ب/ط، ت، 4 /

سر / <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
/ <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

أخفي/<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
-إسراء كمال، مجمع البحوث: الله عز وجل يعلم ما سيكون في النفس قبل أن يكون، الإثنتين

Kaynaklar

İbn Kesir, İsmail b. Kesir, Tefsiru'l-Kur'ani'l-Azım, Kahire-Mısır, 2000

Celaleyn, Celalüddin Muhammed b. Ahmed el-Mahalli ve Celalüddin Abdurrahman b. Ebi Bekir es-Suyutî, Tefsiru'l-Celaleyn, Daru'l-Hadis, Kahire,1. baskı

et-Taberi, Muhammed b. Cerir b. Yezid, Cami'ul-Beyan fi Te'vili'l-Kur'an, Riyad, .baskı 2000.1

el-Kurtubî, Muhammed b. Ahmed b. Ebi Bekr, el-Camiu'l-Ahkami'l-Kur'an "Tefsiru'l-Kurtubî", Kahire, 2. baskı,1964

eş-Şa'ravî, Muhammed Mutevelli eş-Şa'ravî, Havatıru Kur'aniyye

eş-Şenkıtî, Muhammed el-Emin b. Muhammed el-Muhtar, Edvau'l-Beyan fi İzahil-Kur'an bi'l-Kur'an, Beyrut, Lübnan, 1995

Kasım, Refik, el-Velâ ve'l-Berâ fi'l-Kur'ani'l-Kerim, Doktora Tezi, Atatürk Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Erzurum, 2006

Duzî, Rinhart Peter Durzî, Tekmiletü'l-Meacimi'l-Arabiyye, çev. Muhammed Selim en-Naimî, Irak, 1. baskı, 2000

İbn Manzur, Muhammed b. Mukrim b. Ali, Lisanu'l-Arab, Beyrut, 3. baskı, 1414

el-Askerî, el-Hasan b. Abdullah Sehl, Mu'cemu'l-Furuku'l-Lugaviyye, Kum, 1. baskı, 1412

ez-Zemahşerî, Mahmud b. AmrAhmed, Esasu'l-Belaga, Daru'l-Kitabu'l-İlmiyye, Beyrut, baskı, 1998 1

er-Razî, Ahmed Faris b. Zekeriyya, Mu'cemu Mekayısı'l-Luga, Daru'l-Fikr, 1979

Ela'nî, Abdulkadir b. Melahiş, Beyanu'l-Meânî, Şam, 1. baskı, 1965

Safî, Mahmud Abdurrahim Sâfî, el-Cedvel fi İ'rabi'l-Kur'ani'l-Kerim, Dımişk, Beyrut, 4. baskı, 1418

el-Humeyrî, Neşvân Saidi'l-Humeyrî, Şemsu'l-Ulum ve Devau Kelami'l-Arab mine'l-Kelum, Beyrut, 1. baskı, 1999

el-Mursî, Ali İsmail Side, el-Muhassas, Beyrut, 1. baskı, 1996

el-Vahidî, Ali Ahmed Muhammed, el-Veciz fi Tefsiri'l-Kitabi'l-Aziz, Dımişk, Beyrut, 1 baskı, 1415

el-Bukaî, İbrahim Ömer Hüseyin, Nazmu'd-Durer fi Tenasübi'l-Ayat ve's-Suver, Kahire

el-Enbarî, Muhammed el-Kasım Muhammed,ez-Zahir fi Mea'ni Kelimati'n-Nas, Beyrut, 1 baskı, 1992

ez-Zebidi, Muhammed b. Muhammed Abdurrezzak, Tacu'l-Urus min Cevahiri'l-Kamus, Daru'l-Hidaye

Bin Faris, Ahmed Bin Faris Bin Zekeriyya, Mucmelu'l-Luga Li'bn-i Faris, Beyrut, 2. baskı, 1986

el-Curcanî, Ali b. Muhammed ez-Zeyn, Kitabu't-Ta'rifât, Beyrut, 1. baskı, 1983

el-Endulusî, Muhammed b. Yusuf b. Ali, el-Bahru'l-Muhit fi't-Tefsir, Beyrut, 1. baskı, 1420

el-Cevzî, Abdurrahman b. Ali el-Cevzî, Zadu'l-Mesir fi İlmi't-Tefsir, Beyrut, 1. baskı, 1422

el-Begavî, el-Hasen b. Mes'ud el-Begavî, Mea'limü't-Tenzil fi Tefsiri'l-Kur'an, 4. baskı, 1997

Levahî, Ali Ahmed Muhammed, el-Veciz fi Tefsiri'l-Kitabi'l-Aziz, Dımışk, Beyrut, 1. baskı 1415

Mucahid, Mucahid b. Cebru't-Tabiî, Tefsiru Mücahidd, Mısır, 1. baskı, 1989

el-Hazin, Ali Muhammed İbrahimm, Lübabu't-Te'vil fi Meâni'it-Tenzil, Beyrut, 1. baskı 1415

el-Bereketî, Muhammed Umeym el-İhsan el-Mücaddidî, et-Ta'rifâtu'l-Fıkhiyye, 1. baskı, 2003

el-Ferahidî, el-Halil, Ahmed Amr, Kitabu'l-Ayn, Daru'l-Mektebeti'l-Hilal

سر / <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

/ <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

أخفى / <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>